التذييل 4

المرحلة 1 > مكان

المصدر: دليل الإنتربول لتحديد هوية ضحايا الكوارث

كقاعدة عامة، لا يمكن مباشرة البحث عن الرفات البشرية لضحايا الكوارث إلا بعد إنقاذ جميع الناجين. ويتعين إعلام وحدات الإنقاذ الطارئ التي تصل إلى مكان الكارثة قبل أفرقة انتشال الجثث بأنها، أثناء اتخاذ التدابير الطارئة ومع احترام أولوية تدابير الحفاظ على حياة الناجين وإدارة الرعاية الطبية، ينبغي أن تسهر على عدم مس أكبر قدر ممكن من هذا الرفات (بما فيها الأدلة والحاجيات الشخصية وغير ذلك).

وفي معظم الحالات، تعم الفوضى وسوء التنظيم هذه العمليات بداية، ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن انتشال الرفات البشرية والحفاظ على الأدلة/الحاجيات الشخصية يشكل أولى الخطوات الحاسمة في عملية تحديد هوية الضحايا. وغالبا ما يزداد الأمر صعوبة بفعل العدد الكبير من الوحدات التنظيمية الشديدة الاختلاف التي كثيرا ما تشارك في هذه العملية، فضلا عن وظائف التواصل والتنسيق ذات الصلة التي لا تكون قد حُددت بشكل كامل حينئذ.

وللسيطرة على هذه الفوضى الأولية قدر المستطاع، ينبغي إعداد خطة منسقة للبحث عن الجثث والعثور عليها في أسرع ما يمكن بالتعاون مع فريق جمع الأدلة وفريق التحقيق في الكارثة وأفرقة مراقبة الدخول والأمن. وتشمل هذه الخطة البحث عن الرفات البشرية والممتلكات والأدلة وجمعها (يمكن استخدامها جميعا أيضا في مرحلة التحقيق اللاحق في أسباب الكارثة).

وفي حالات الكوارث التي تودي بعدد كبير من الضحايا، من فائق الأهمية استحداث قسم ميداني لانتشال الجثث وجمع الأدلة يتولى المسؤوليات التالية:

- انتشال جميع الجثث والبقايا البشرية في مكان الكارثة.
- جمع وحفظ ما يُعثر عليه في مكان الكارثة من ممتلكات لا صلة مباشرة لها بانتشال الرفات البشرية.
- جمع وحفظ سائر الحاجيات الشخصية لضحايا الكارثة، التي يُعثر عليها على مبعدة عن محيط الكارثة (مثل المتاع الشخصي للضحايا في الفنادق).

وتُكلَّف الشرطة، قدر الإمكان، بتولي مسؤولية عمليات الانتشال وجمع الأدلة ويمكنها بدورها الاستعانة بشتى الخبراء مثل أطباء الأسنان، وأخصائيي الأنثروبولجيا وعلم الأمراض المدرَبين لتمييز الرفات البشرية عن غيره عند اللزوم.

1.4 البحث/التسجيل/الحفظ

قبل بداية العمليات، ينبغي إحاطة جميع الموظفين الميدانيين علما بمجمل الوضع. وهذه الإحاطة ستشمل أيضا تكليفهم بما يتعين إنجازه من مسؤوليات ومهام. وينبغي النظر في الحصول على مساعدة أشخاص من خارج الأفرقة وتوفير المخططات والخرائط لمكان الكارثة من أجل المساعدة في هذه العمليات.

وينبغي البحث في مكان الكارثة ومعاملته بأسلوب منهجي، قطاعا تلو الآخر. ويُكلَّف كل فريق على حدة بقطاع بعينه في مكان الكارثة يحدده قائد العمليات حسب القطاع. وقبل دخول المكان، ينبغي تزويد الموظفين الميدانيين بمعدات وملابس الوقاية المناسبتين (مثل الخوذ، والأردية السروالية، والأحذية العالية الساق، والقفازات المطاطية، والأقنعة) وبمعدات الانتشال ووثائق التسجيل المناسبة التي تكفي لكل رفات بشرية وكل دليل من الأدلة. ويتعين توفير هذه المعدات/الوثائق عن طريق مركز قيادة عمليات الانتشال.

وهذه الأفرقة مسؤولة عن السهر على إجراء بحث معمّق للقطاع الموكل إليها.

2.4 تقسيم المكان إلى مربعات

يحتاج الموظفون المكلفون بمعاملة مكان كارثة إلى تسجيلات دقيقة ومفصلة له ليتمكنوا من إجراء عمليات بحث شاملة ومن تسجيل استنتاجاتهم بدقة. وإذا كان مكان الكارثة واسعا، يمكن أن تساعد الصور الجوية إلى حد بعيد في إعداد الخرائط أو المخططات، بينما يُكتفى بالنسبة للأبنية بمخططات الطوابق المرقمة تباعا.

ويتمثل دور مراقب المكان في فريق تحديد هوية ضحايا الكوارث في كفالة تقسيم المكان المعني إلى شبكة مربعات على نحو ملائم وتخصيص قطاعات البحث. ويتعين تصنيف هذه القطاعات تبعا لأولويتها بعد مراعاة الأولويات المحتملة لأفرقة خبراء الفحص الأخرى، مثل خبراء فحص أماكن وجود قنابل، التي قد تتضارب معها. لذا، من المهم اتباع نهج موحّد لتحديد قطاعات البحث استنادا إلى الأولويات المتفق عليها وبما ينسجم مع التحقيقات المتصلة بالأدلة الجنائية.

وبالنسبة لمواقع من قبيل مدرّجات المطارات، والحقول، وسائر المناطق التي يُحتوى مكان الكارثة إلى حد ما فيها، يوصى بتقسيم المنطقة إلى شبكة مربعات. ويقوم هذا التقسيم باختصار على اختيار خط الأساس انطلاقا من نقاط ثابتة يمكن تمييزها على الأرض، أو بين هذه النقاط، وتحديد خطوط متوازية باستخدام شريط ممدود على مسافات متباعدة متساوية، كل 10 أمتار مثلا، لتشكيل مربعات يُبحَث فيها بأسلوب منهجي. ومن المهم أن تغطي شبكة المربعات مكان الكارثة برمّته.

وعند استخدام نهج شبكة المربعات المحددة بخطوط ممدوة على مسافات متباعدة بمقدار 10 أمتار لتحديد كل قطاع، يمكن لمراقب مكان الكارثة تخصيص مربعات متعددة لقطاع بعينه تبعا لكمية الأدلة المحتمل توفرها في كل مربع. لذا، في مثال تحطم طائرة، يمكن اعتبار مربعات البحث المحيطة بالمنطقة التي تقع خلف الطائرة قطاعا واحدا بسبب قلة الحطام. وفي المقابل، يمكن تقسيم هيكل الطائرة الرئيسي إلى عدة قطاعات بسبب احتوائه على عدد كبير من الأدلة.

ولمساعدة فريق البحث/الانتشال في معاملة قطاع بعينه يحوي عددا كبيرا من الأدلة، يمكن لرئيس الفريق اعتماد نهج يستند إلى إقامة 'شبكة مربعات فرعية' ضمن القطاع المعني. وسيساعد هذا الأمر الفريق المذكور على معاينة القطاع المعني وتسجيل المعلومات ذات الصلة. وهذا النهج يخضع لنفس المبادئ السارية على شبكة المربعات الرئيسية.

وإذا وقع الحادث في أرض وعرة، أظهرت التجربة أن تحديد شبكة من المربعات المتساوية ليس الأسلوب الأجدى في معظم الأحيان. والخيار الأفضل في مثل هذه الحالات هو التقاط صور جوية للمنطقة وإعداد الخرائط أو رسم مخططات دقيقة للأرض التي ستجري معاينتها، ثم تقسيمها إلى قطاعات استنادا إلى علامات طبيعية أو من صنع البشر مثل ضفاف الأنهر أو الأسيجة أو الحقول أو الطرقات أو الجروف أو الأبنية. وقد يتعين بعدئذ تقسيم هذه القطاعات إلى مناطق فرعية أصغر وأسهل معاملةً.

ثم يُعدُّ مخطط يقابل كلاً من هذه القطاعات ويشير بوضوح إلى شبكة المربعات أو النقاط الرئيسية المحددة ويُستنسخ بأعداد مناسبة. وتُجرى سائر عمليات البحث والانتشال بطريقة منهجية مماثلة تبعا لإجراءات انتشال الجثث، حرصا على إخضاع جميع أجزاء المكان للبحث السليم وتسجيل جميع الاكتشافات بدقة.

ومن الضروري استحداث ممر للدخول والخروج لتحديد المسار الذي يتعين على أفرقة التدخل استخدامه عند ولوج الموقع. ويتعين إيلاء الأولوية لتحديد هذا المسار ليكون بالتالي أول قطاع تُنجَز معاملته لفتح طريق الوصول إلى سائر القطاعات. ويتعين على مراقب مكان الكارثة أن يراعي سهولة دخول أفرقة التدخل إلى المكان المعني ليتسنى لها انتشال الرفات البشرية وجمع الممتلكات وسائر الأدلة وتأمينها.

يرد في الشكل 1 من هذا التذييل نموذج عن شبكة مربعات أساسية لمكان كارثة.

3.4 انتشال الجثث وجمع الأدلة

إن فريق انتشال الجثث وتحديد هوية الضحايا، ليتمكن من إجراء بحث معمّق وتوفير وثائق مصورة، يحتاج إلى خرائط دقيقة لمنطقة وقوع الكارثة. وينبغي قدر المستطاع تغطية مكان الكارثة بشكبة مربعات من أجل تسهيل عمليات البحث. ولقد أثبت هذا الأسلوب جدواه تحديدا في مناطق كوارث واسعة نسبيا. وتتألف شبكة المربعات من خط أساس ينطلق من نقاط ثابتة يمكن تحديدها على الأرض، أو يمر بين هذه النقاط، ومن خطوط متوازية محددة على مسافات متباعدة بمقدار 10 أمتار على سبيل المثال (ولكنها تحدَّد تبعا للوضع). وتؤدي هذه العملية إلى تشكيل قطاعات مربعة الشكل يمكن إجراء عمليات البحث فيها بأسلوب منهجي. وينبغي أن تغطي شبكة المربعات، قدر المستطاع، منطقة الكارثة بمجملها. ويمكن تصنيف الرفات البشرية المنتشل والحاجيات الشخصية والبيانات وغير ذلك في جدول وفقا لمكان شبكة المربعات التي يعثر عليها فيها عبر ملء وثيقة انتشال الضحايا.

ويؤدي فريق الانتشال وجمع الأدلة المهام التالية المتعلقة بانتشال الجثث:

- تحديد وتسجيل موقع جميع الرفات البشرية باستخدام كتيب انتشال الضحايا.
- إخراج الجثث وكشفها واستردادها – عند الاقتضاء بمساعدة أفراد الدعم الملائمين والمعدات المناسبة.
- وسم الرفات البشرية عن طريق ألواح أدلة أو رقع مرقمة يكون رقم الانتشال مقروءا عليها بوضوح ولا يمكن محوه.
- وضع رقم منفصل ومتميز لكل رفات.
- توثيق موقع الاكتشاف – توفير وصف أو صور أو رسم أو مسح لموضع الرفات البشرية بالاستعانة بالنظام العالمي لتحديد المواقع GPS و/أو أدوات مسح مكان الكارثة.
- التوثيق المصور للرفات البشرية لأغراض ملفات الانتشال وفحص الطب الشرعي.
- إرفاق رقم الانتشال بالرفات البشرية. ويُستخدم هذ الرقم بوصفة الرقم المرجعي للجثة ويظل ملحقا بالرفات البشرية طيلة عملية تحديد الهوية.
- ملء وثائق الإنتربول المتعلقة بالانتشال لأغراض تحديد هوية ضحايا الكوارث مع الإشارة إلى رقم الانتشال.
- وضع الرفات البشرية في كيس مخصص للجثث ولصق رقم الانتشال بكيس الجثة من الخارج، وإغلاق كيس الجثة بإحكام.
- رفع الرفات البشرية ونقله إلى مركز قيادة عمليات الانتشال/المشرحة.
- إعداد وجمع وثائق الانتشال وإحالتها إلى مركز قيادة عمليات الانتشال/المشرحة.
- جلب وثائق انتشال جديدة حسب الحاجة.

ومن أجل أداء المهام الآنفة الذكر بطريقة سليمة، ينبغي الالتزام بالمبادئ التالية:

- المطابقة بين أجزاء الرفات البشرية المنفصلة ينبغي ألا يضطلع بها سوى خبراء الطب الشرعي المخولون، وليس أفراد انتشال الجثث. وبوجه أعم، يجب تجنب هذه العملية وينبغي وسم كل جزء من الجثة ببطاقة تحمل وصفا له. وقد يتعين أيضا حضور خبراء في الطب (بمن فيهم المتخصصون في الأنثروبولوجيا) وطب الأسنان في مكان الكارثة لمساعدة الشرطة في جمع الرفات البشرية ولاسيما العظام والأسنان.
- أثناء عمليات الانتشال، لا ينبغي للأفراد المعنيين أن يبحثوا عن أدلة الهوية أو أن ينزعوا أشياء عن ملابس الضحايا أو أن يضعوا أشياء فيها.
- إذا اتضح أثناء عملية الانتشال أن حالة الرفات البشرية قد تتغير سريعا بسبب تأثيرات خارجية (المناخ مثلا)، ينبغي أن يقوم أخصائي مؤهل تأهيلا جيدا بأخذ عينة من البصمة الوراثية للضحايا قبل بدء عملية الانتشال. (ينبغي أن يصدر أمر بذلك من قائد فريق انتشال الجثث وجمع الأدلة). وينبغي اتخاذ جميع التدابير الاحتياطية اللازمة لجمع الأدلة ووسمها ونقلها وتخزينها.

المنهجية العامة اللازم اتباعها عند رفع الرفات البشرية:

- استخدام خطة بحث تتماشى مع طبيعة المنطقة.
- مراقبة الدخول إلى المنطقة (عدم رفع الرفات البشرية والحاجيات الشخصية أو الإخلال بموضعهما) حتى تُوثَّق على النحو المناسب.
- توفير ما يكفي من الأوتاد وأكياس الجثث وبطاقات التوسيم.
- تقسيم موقع الجثث أو أجزاء الجثث إلى شبكة مربعات وتحديده بدقه (ولا سيما البقايا البشرية المحروقة أو المجزأة مع الأخذ في الاعتبار موقع البقايا البشرية أو الأدلة الأخرى).
- وضع الرفات البشرية والحاجيات الشخصية المرتبطة به ارتباطا مباشرا في الكيس نفسه.
- وضع كل جزء من أجزاء الرفات البشرية في كيس منفصل.
- استخدام الصور والوثائق الخطية (استمارات الإنتربول لتحديد هوية ضحايات الكوارث) لتسجيل الرفات البشرية والممتلكات.
- وسم الرفات البشرية وكيس الجثث بالرقم نفسه.

يجب ألا يغيب عن البال أن الممتلكات يمكن أن تكون أدلة حاسمة للمساعدة في التحقيقات. ويجب أداء المهام التالية بشأن الممتلكات والحاجيات الشخصية.

- تحديد وتسجيل موقع الممتلكات التي يُعثَر عليها في مكان الكارثة وكذلك موقع الحاجيات الشخصية التي يُعثَر عليها على مبعدة من محيط الكارثة.
- وضع إشارة في الموقع الذي يُعثَر فيه على الممتلكات وتوثيقه.
- ملء قائمة الأدلة في وثائق الانتشال، بما في ذلك تسجيل رقم انتشال الجثة.

- وسم الممتلكات وتغليفها؛ وتغليف الحاجيات الكبيرة الحجم (مثل حقائب الأمتعة) لحفظ الأدلة ليس إلزاميا. ويمكن استخدام بطاقات التوسيم المتعلقة بالأدلة لوصف هذه الممتلكات.
- بعد توثيق الممتلكات وإعدادها كأدلة، ينبغي نقلها دون تأخير إلى مركز جمع الأدلة/الممتلكات، مقترنة بقائمة الأدلة المتعلقة بها. وإذا لم يكن مركز جمع الأدلة/الممتلكات في الجوار المباشر لمكان الكارثة، ينبغي تعيين مشرف إداري على الأدلة في مكان الكارثة وتكليفه بمهمة جمع الممتلكات/الحاجيات الشخصية وإحالتها إلى مركز جمع الأدلة/الممتلكات.
- ينبغي تحديد موقع الحاجيات الشخصية للضحايا الموجودة على مبعدة من محيط الكارثة (كغرف الفنادق مثلا) وجمع هذه الحاجيات وإدارتها على المنوال نفسه المشار إليه آنفا. ويجب أيضا إدراج هذه الحاجيات في قائمة للأدلة توفَّر مع وثائق الانتشال.
- يُسجَّل استلام/نقل الأغراض الشخصية في سجل استلام/نقل يوقّعه الطرفان المستلم والناقل – الحفاظ على ''سلسلة حفظ الأدلة''.
- تُحال أيضا الحاجيات الشخصية المستلمة إلى مركز جمع الأدلة/الممتلكات، مقترنة بقائمة الأدلة وسجل الاستلام/النقل.

4.4 مراكز التجميع

بالتشاور مع قائد العمليات حسب القطاع ، يُنشَأ مركز قيادة عمليات الانتشال في الجوار المباشر لمكان الكارثة. ويمكن أن يقوم مقام مستودع مؤقت للجثث/مشرحة – وهو يشكل على أيّ حال مركزا (موقعا) لجمع الرفات البشرية الذي تحضره أفرقة الانتشال وجمع الأدلة. ويكفل مركز القيادة تخزين الرفات البشرية بشكل مؤقت وسليم ويحتفظ بقوائم انتشال الضحايا استنادا إلى البيانات المستقاة من تقارير الانتشال.

ويتولى مركز قيادة عمليات الانتشال إعداد وثائق/معدات الانتشال ويوفرها لأفرقة الانتشال وجمع الأدلة:

- تقرير عن الانتشال (استمارة الإنتربول لانتشال الضحايا/استمارة ما بعد الوفاة الوردية لتحديد هوية ضحايا الكوارث).
- قوائم الأدلة.
- ألواح مرقمة.
- أكياس الجثث.
- لوازم إحكام الإغلاق.

ويحرص مركز قيادة عمليات الانتشال بمراجعة وثائق الانتشال، عند صدورها أو ورودها، للتأكد من اكتمالها/دقتها.

5.4 مركز جمع الأدلة/الممتلكات

ينبغي أن يقام أيضا مركز جمع الأدلة/الممتلكات في جوار مكان الكارثة بالتشاور مع قائد فريق عمليات الانتشال وجمع الأدلة. وتُجمع الأدلة التي يُعثر عليها في مكان الكارثة في مركز التجميع مع الحاجيات الشخصية لضحايا الكارثة.

واستنادا إلى العدد الكبير لقوائم الأدلة التي يراجعها مركز التجميع للتأكد من اكتمالها/صحتها، يجري إعداد قائمة أدلة رئيسية تتضمن جميع الأغراض المعثور عليها والمسجلة. ويتولى موظفو مركز التجميع مسؤولية بت مدى فائدة أيّ من الأغراض التي يستلمونها وملائمته لتحديد الهوية وأيّ منها ينبغي معاملته كممتلكات.

وتُحدَّد الأغراض ذات الصلة بعملية تحديد الهوية وتُدرج من ثم في القائمة. وتُقدَّم إلى فريق تحديد هوية الضحايا المعلومات المتعلقة بتبين الأشخاص المستمدة من هذه الأغراض.

ويؤدي مركز جمع الأدلة/الممتلكات الوظائف التالية:

- ضمان تغليف وتخزين الأغراض المجموعة على نحو سليم.
- إعداد سجلات تسليم عناصر الأدلة التي يجب أن تخضع لفحص إضافي لأغراض تحديد الهوية أو تحليل الأدلة الجنائية قبل إتمام العمليات الجارية في موقع الكارثة.
- فحص الممتلكات للحصول على معلومات مفيدة لعملية تحديد الهوية والتصنيف باعتبارها أدلة، وذلك حسب الاقتضاء (مثلا الممتلكات الثمينة والوثائق الشخصية). وتُخزَّن بشكل منفصل الأغراض المصنفة كممتلكات وتُسجَّل بهذه الصفة في قسم ''الملاحظات'' في قائمة الأدلة.
- إعداد صور الممتلكات من أجل تحديد الهوية/المطابقة.
- الترتيب لإعادة الممتلكات إلى أصحابها/الأشخاص المخولين استلامها.

الشكل 1 مثال على عملية تقسيم أساسية لمكان تحطم طائرة إلى شبكة مربعات

تُستخدم تقنية تقسيم مكان كارثة إلى شبكة مربعات لتسجيل موقع وجود الرفات البشرية والممتلكات وعناصر الأدلة في مكان الكارثة. ويُشار إلى كل شبكة مربعات باستخدام إحداثيات أفقية وعمودية. فعلى سبيل المثال، يمكن توسيم جميع الإحداثيات الأفقية بالحروف الأبجدية وجميع الإحداثيات العمودية بالقيم الرقمية. وفي الرسم البياني الوارد أدناه (الشكل 1)، يُشار إلى مراجع شبكة المربعات بـ A1 إلى O16. وينبغي تسجيل هذه المراجع في وثائق الانتشال من مكان الكارثة، ويمكن أن تشمل هذه التسجيلات إحداثيات النظام العالمي لتحديد المواقع كمصدر مرجعي إضافي.

وتخصَّص للأفرقة المعنية بالمرحلة الأولى من عملية تحديد هوية ضحايا الكوارث مربعات محددة لفحصها وتسجيلها ومعاملتها وإزالة الشوائب منها. وينبغي لمراقب مكان الكارثة أن يحتفظ بسجل مفصل للأفرقة المتخصصة المعيّنة في كل مربع. وينبغي أن يُحدد في السجل أيضا عدد المربعات التي جرت معاملتها وأن يُضمَّن التفاصيل الدقيقة للرفات البشرية والممتلكات وسائر الأدلة المعثور عليها في كل مربع.

ولا بد من التذكير بأن مكان حدوث أيّ كارثة سيكون مختلفا عن غيره نظرا لمجموعة من العوامل مثل الموقع، والخصائص الجغرافية، والعناصر البيئية، وطبيعة الكارثة، والمسائل المتعلقة بالسلامة، والتعقيدات التي تنطوي عليها إدارة الرفات البشرية والممتلكات والأدلة الأخرى. وهذه العوامل هي السبب الذي قد يجعل ألا يكون لكل هذه المربعات مقاس موحد. أضف أن الترتيب الذي يُعامَل به مكان الكارثة يتوقف إلى حد بعيد على الأولويات. فعلى سبيل المثال، قد يتعين إشراك العديد من الخبراء المتخصصين في معاملة الموقع مثل خبراء فحص الموقع ما بعد الانفجار وخبراء فحص مسرح الجريمة والخبراء الذين يحتاجون إلى جمع بيانات الاستخبارات لأغراض التحقيقات. وبالتالي فإن التواصل والتعاون بين هذه الكيانات الرئيسية أمر بالغ الأهمية لضمان معاملة مكان إحدى الكوارث بشكل سليم.

والمثال التالي (الشكل 1) المقدَّم للدلالة فقط يرمي إلى إبراز ضرورة تقسيم الموقع إلى قطاعات والحفاظ على الدوام بنظرة شاملة ودقيقة للموقع الذي عُثر فيه على الرفات البشرية والممتلكات والأدلة الأخرى. ولا بد من التذكير أيضا بأن في وسع كل بلد تطبيق نماذج مختلفة من هذا المثال.

الشكل 1